

اللسانيات العربية

Allisaniyat Al Ārābiyah

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك
عبدالله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية
العدد ٣ جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ - مارس ٢٠١٦ م

- تيسير النحو: من هاجس الإحياء إلى مقتضيات التعليم التطبيقية

- إعادة تبويب أبواب النحو على ضوء معاني الكلام

- المعاجم اللسانية العربية وأسس الصناعة المعجمية - قراءة
وصفية تحليلية في آليات التصنيف

- التصور الاستعاري لبنية المسار في اللغة العربية

- الفونولوجيا المستقلة القطع و نماذج من تطبيقاتها
على العربية

- من إشكاليات القدرة التواصلية

- لغة النزاع في القضايا الدولية: دراسة لسانية تداولية

هذه الطبعة

إهداء من المركز

ولا يسمح بنشرها ورقياً

أو تداولها تجارياً

التصور الاستعاري لبنية المسار في اللغة العربية

عبد العالي العامري^(١)

تقديم

تعتبر دراسة المسار الاستعاري من بين أعقد الإشكالات التي واجهت البحث اللساني في العصر الحديث، على الرغم من كل المحاولات التي قام بها علماء الدلالة، الذين استطاعوا رسم بعض عناصرها وفهمها، فأخذت تصاغ معهم لوحة أكثر وضوحاً لنسق المسار في إطار الدلالة التصويرية. وبرهنت المقاربات المعاصرة على فكرة نظرية مفادها أن الأشكال الاستعارية، تشكل بصفة عامة قاعدة ضرورية للغة وعماداً إجبارياً للفكر، وأكدت على أن الاستعارات فيما تستلزمه من عمليات ذهنية ومسارات استدلالية تمثل الأساس المعرفي لمختلف البنيات اللسانية والمجالات التصويرية.

ومن ثمة، تكون الاستعارات - تبعا لـ «غوتلي» (Goatly) (١٩٩٧) - بمثابة تشييد لساني ومعرفي يرمي إلى تمثيل التجربة الإنسانية انطلاقاً من الإدراك الانتقائي لمظاهر العالم وتجلياته المتنوعة. وبذلك أضحت الاستعارة مقترنة بالبنيات الذهنية والمجالات التصويرية التي تنهض بتأطير المقولات والمفاهيم والنماذج انطلاقاً من التجربة الجسدية المستندة إلى المعطيات الفيزيائية المشكلة للمحيط الإنساني العام. وفي هذا السياق المعرفي الخاص بالتصور الاستعاري للمسار، قامت النظرية التصويرية بالبرهنة على امتلاك الاستعارات لنسق خفي، يعين في إدراك العالم وفهم وقائعه المتنوعة، ويساعد في إنجاز العمليات الذهنية للعقل البشري، ونسج البنيات الاستدلالية للتفكير الإنساني.

ومنه، فدراسة المسار باعتباره موضوعاً استعارياً، يعمل على طرح مجموعة من

الأسئلة المعرفية، وهي: ما هي نظرية الاستعارة التصورية؟ كيف نحصل على المسار الاستعاري؟ وكيف نتصوره؟ وكيف يتم بناؤه؟ كل هذه الأسئلة تدخل في سياق الطرق المتاحة لرسم ملامح النسق الاستعاري للمسار في اللغة العربية، بل إن هذه الأسئلة تعد مفتاحاً لفك لغز بعض الحبايا الداخلية للمسار.

وعند دراسة النسق الاستعاري للمسار كمكون من مكونات المعرفة الفضائية، فإننا نفترض أن العلاقة الأساس لذلك تقوم على العمليات الإدراكية التي ينشغل بها الذهن البشري، وليس حول مقتضيات سلوكية تركز على المنبهات والاستجابات.

١. نظرية الاستعارة التصورية

تعد نظرية الاستعارة التصورية (conceptual metaphor theory) المقدمة في عمل لايكوف (١٩٩٣)^(٢) عملاً متطوراً داخل اللسانيات المعرفية، إذ تشكل مقارنة لتنظيم التصورات وبنائها، والتي سبق وأن نوقشت بشكل كبير داخل العلوم المعرفية بشكل عام، إلا أن الفكرة المحورية التي تتأسس عليها النظرية تقوم على بناء مجال معرفي له طبيعة استعارية في علاقته بمجال فضائي له استعمال عاد.

ويمكن التعبير عن هذه العناصر بـ: حركة الأشياء في الفضاء (motion object in space) والمسار الاستعاري (metaphorical path)، حيث يتم بناء المسار الاستعاري عن طريق ما يسمى بالإسقاط التصوري (conceptual projection)^(٣).

وتتيح الآليات العصبية والمعرفية إمكانية الإدراك الاستعاري لبنية المسار، لكونها مسؤولة عن خلق أنساقنا التصورية، وصيغ تفكيرنا. فالمسار (path) يدرك نفسياً، وعن طريق التجربة الذاتية مع الأشياء من خلال ممارسة بعض المهام في الحياة اليومية، واحتكاك يومي مع المحيط، بل هو تصور ينمو معنا وننمو معه.

فالتفكير الدلالي إن لم يتصل بالاستعارة لن يتمكن من كشف التفاصيل الجوهرية للمسار، ولن يتمكن، أيضاً، من تبيان العناصر الداخلية لبنية المسار التي تكون قادرة على فهم بنيته النسقية.

ولهذا، فالاستعارة عملية إدراكية كامنة في الذهن، تؤسس أنظمتنا التصورية، وتحكم تجربتنا الحياتية، وهذا ما يعني أن الاستعارة في جوهرها ذات طبيعة تصورية، عكس اعتقاد عدد كبير من الناس الذين يرون أن الاستعارة خاصية لغوية تنصب على الألفاظ وليس على التفكير أو الأنشطة. وبهذا، يظن أغلب الناس أنه بالإمكان

الاستغناء عن الاستعارة دون جهد كبير. وعلى العكس من ذلك، فقد انتبهنا إلى أن الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية.

٢. الاستعارة الفضائية

١.٢ عن مفهوم الاستعارة الفضائية

ترتبط الاستعارة الفضائية (spatial metaphor) بصنف الاستعارة الاتجاهية، باعتبارها نسقا كاملا من التصورات المتعاقبة ذات التوجيه الفضائي القائمة على تجربة الفرد الفيزيائية والثقافية^(٤). فالاستعارة في ضوء هذا النمط تنتظم في إطار توجه فضائي من قبيل: عال، مستفل، داخل، خارج، أمام، وراء، فوق، تحت... إلخ. إلا أن هذا التوجه الفضائي الناظم لهذا النوع من الفهم الاستعاري ينضبط لقواعد تجريبية وثقافية تمنحه الانسجام والقصدية، وتناى به عن مجال الاعتباطية. والواقع، أن جل تصوراتنا الأساس منظمة تبعا لاستعارة أو لمجموعة من الاستعارات ذات التوجه الفضائي، حيث إن الحروف المسارية تساهم بشكل كبير في رصد وبنية هذه التصورات الاستعارية ذات البعد الفضائي من خلال تعبيرها عن بنية المسار.

وتتبع هذه الاتجاهات الفضائية من كون أجسادنا لها هذا الشكل الذي هي عليه، وكونها تشتغل بهذا الشكل الذي تشتغل به في محيطنا الفيزيائي. وهذه الاستعارات الاتجاهية تعطي للتصورات توجهها فضائيا، كما في التصور الآتي:

(١) - أحس أنني في القمة اليوم.

فكون تصور السعادة موجهها نحو الأعلى هو الذي يبرر وجود تعابير من هذا النوع.

إن لكل استعارة فضائية نسقية داخلية ولها مسار من نوع خاص، فالاستعارة الواردة في المثال (١)، تحدد صنفا معينا من المسارات، الذي يصطلح عليه بالمحور العمودي الذي يخترق مركزية المتكلم الفضائية. والأمر نفسه ينطبق على بعض التعابير اليومية التي يستعملها الإنسان في يومه أو حياته العادية، والتي تملك توجهها مساريا نحو الأعلى، وذلك نحو:

(٢) - أ - إنني في قمة السعادة/ العطاء.

- ب - إنه في قمة العافية وأوجها.

- ج - إنني في قمة السلم الاجتماعي.

- د - إنه في قمة المجد.

تدل هذه الأمثلة المرتبطة بالفضاء^(٥) في (٢) (أ. ب. ج. د) على مسار استعاري يملك توجهها نحو الأعلى. وهذا الأمر أعلاه، نجد ما يعكسه تماماً، ونكون أمام مسارات استعارية تملك توجهها نحو الأسفل. وهذا الأمر ما توضحه الأمثلة الآتية:

(٣) - أ - سقطت معنوياتي.

- ب - إنه في الحضيض هذه الأيام.

- ج - سقط في ما لا يحمد عقباه.

- د - سقط من التعب.

- هـ - إنه في أسفل الدرك.

- ز - إنه في أسفل السلم الاجتماعي.

وهناك بعض المسارات الاستعارية التي تتميز بالثبات والاستقرار، أي بعدم الحركة، وذلك نحو:

(٤) - تقهقر في وضعه الاجتماعي.

وإلى جانب هذا النمط من المسار الاستعاري الثابت، هناك نمط آخر من المسارات الاستعارية غير تامة التوجه نحو الأعلى، أي مسارات في طريقها إلى الأعلى، وذلك نحو:

(٥) - إنه يتسلق الدرجات بكل ثقة.

والجددير بالذكر، أن العربية المغربية كذلك تمتلك في نسقها بعض التعابير الدالة على بعض المسارات ذات التوجه نحو الأعلى، وتماثل اللغة العربية في هذه الخصيصة، وذلك نحو:

(٦) - فُوقُ فِكِيكُ.

(٧) - فُوقُ السَّلْكَ

نستعمل في الثقافة المغربية الاتجاه (فوق) مع اسم مدينة فِكِيكُ أو السَّلْكَ (قضيبي من حديد) للتعبير عن الوضع الجيد والمريح. وبذلك ترصد لنا الأمثلة أعلاه،

مساراً من نوع خاص، يصطلح عليه بالمحور العمودي الذي يخترق مركزية المتكلم الفضائية، وعليه، فنسقتنا الدارج، يرصد هو الآخر التصور الاستعاري للمسار، ويشترك مع اللغة العربية ولغات أخرى في التعبير عن المسار استعارياً. إن المسار الاستعاري حاضر بقوة في تصوراتنا التي نحيا بها، لكون نسقنا التصوري، في جزء كبير منه، ذو طبيعة استعارية، حيث إن كيفية تفكيرنا وتعاملنا وسلوكياتنا... إلخ، ترتبط بشكل وثيق بالاستعارة. وتشكل اللغة إحدى الطرق الموصلة إلى اكتشافها، وبما أن التواصل مؤسس على النسق التصوري نفسه الذي نستعمله في تفكيرنا وفي أنشطتنا، فإن اللغة تعد مصدرًا مهمًا للبرهنة على الكيفية التي يشتغل بها هذا النسق.

٢.٢ أنواع الاستعارات المسارية

توجد مجموعة من الاستعارات المسارية والتي يمكن رصدها في هذا الإطار كالآتي:

أ - استعارة الجدال سفر: تبنى استعارة الجدال سفر^(٦) على بنية مسارية، حيث يتم تصوير الجدال باعتباره عنصراً يتوفر على نقطة بداية (مصدر حركة المسار)، ويتواصل بشكل خطي عبر نقط مسارية إلى نقطة نهاية (هدف المسار)، وهذا الأمر توضحه الأمثلة الآتية:

(٨) - وصلنا إلى نتيجة مزعجة.

(٩) - حين نصل إلى النقطة الموالية سنرى أن الماء نضب.

ويتم كذلك تعيين السفر مساراً كما في المثالين الآتين:

(١٠) - لقد نجح نحو الاتجاه السيء.

(١١) - حصل أن تاه عن الطريق.

إن استعارة المسار سفر، تجعل تصوراتنا تعكس الطبيعة الاستعارية لتصوراتنا في علاقتها بسلوكياتنا اليومية، وقد بينا أن هذا الأمر قد تجسد في مجموعة من مجالات الحياة.

وفي هذا الاتجاه، لا بد من الإشارة إلى كون الجدال يتم تعيينه مساراً كما في الأمثلة الآتية:

(١٢) - لقد ابتعد عن خط الاستدلال.

- (١٣) - نحونا نحوا سيئاً.
- (١٤) - إنك تدور في حلقة مفرغة.
- ويمكن الإشارة إلى كون هذه المسارات في هذا الإسقاط التصوري، تصور باعتبارها مساحات، كما في الأمثلة الآتية:
- (١٥) - قد غطينا مساحة لا بأس بها.
- (١٦) - إنه على الطريق الصحيح.
- (١٧) - رجعنا إلى المنطلق.
- (١٨) - لقد حاد عن الطريق.
- وينطبق الأمر نفسه على مسار الجدال، فهو الآخر يعين مساحة، كما في الأمثلة الآتية:

- (١٩) - غطينا كل أجزاء الموضوع.
- (٢٠) - غطينا مجالا مهما في استدلالنا.
- (٢١) - إنك تخرج باستمرار عن الموضوع.
- (٢٢) - إنك على النهج الصحيح.
- إن ما يجعل هذه الحالات ذات طبيعة نسقية، اقتضاء ان استعاريان يستندان إلى أمرين مرتبطين بالأسفار، هما:

السفر الذي يتم تعيينه مسارا له بداية ووسط ونهاية.

مسار السفر الذي يكون عبارة عن كتلة التي تتمثل في المساحة.

نستخلص إذا، أن لكل من السفر والجدال يكونان عبارة عن مساحة. كما أن تصوراتنا تبين ما ندركه وتبين الطريقة التي نتعامل بواسطتها مع المسار الاستعاري من خلال تمثلاتنا للأشياء في العالم الخارجي.

وبهذا، فالاستعارة لا ترتبط باللغة أو بالألفاظ، بل على العكس من ذلك، فسيرورات الفكر البشري هي التي تعد استعارية في جزء كبير منها^(٧).

- ب - استعارة المقاييس الخطية مسارات
- يمكن ملاحظة هذا النمط من المسارات الاستعارية من خلال تعابير مثل:
- (٢٣) - إنه يفوقه كثيرا بذكائه.
- (٢٤) - لقد تجاوزه بذكائه وتركه خلفه.

تحافظ الاستعارة هنا على بعض خصائص المسار في إطار استعماله العادي، حيث نكون أمام نوعين من المسارات المشتقة من الاتجاه (فوق/تحت) والمحور الأمامي (أمام/خلف)، ومثلما لدينا في (٢٣) مسار عمودي مشتق من (فوق/تحت)، لدينا في (٢٤) مسار أفقي مشتق من المحور الأمامي (أمام/خلف)، وبالتالي، فهذا المقياس الخطي للمسار، يجعلنا أمام استعارة المقاييس الخطية للمسار كعمل أو تجربة لها طابعها التصوري الخاص بها. ونجدها في جميع مجالاتنا وتجاربنا اليومية وفي كثير من استعمالنا أثناء تعبيرنا عن الأشياء في العالم الفيزيائي.

ج- استعارة الغايات أهداف فيزيائية

يختبر مارك جونسون بنية المسارات على استعارة الغايات أهداف فيزيائية (purposes are physical goals)، حيث تفهم الأهداف باعتبارها نقطة النهاية التي تتجه إليها كل حركتنا الفيزيائية.

لننظر في الجمل الآتية المتضمنة للمسار الاستعاري، وذلك نحو:

(٢٥) - وصل إلى قمة الجبل.

(٢٦) - وصل الفريق إلى أعلى ترتيب البطولة.

(٢٧) - حصل أن تاه عن الطريق.

وإذا نظرنا إلى هذه الجمل في (٢٥) و(٢٦) و(٢٧)، نجدها متضمنة للاستعارة، فنحن بني البشر، نفهم أكثر الغايات تجريدا كما في الجمل أعلاه، عن طريق إنجاز أعمال فيزيائية متنوعة بغية الوصول إلى هدف مكاني. كما أن الجمل الواردة أعلاه، تشترك في عنصرين أساسيين هما طول المسار وهدفه، حيث تضمنت هذه الجمل حركة لها دينامية غائية، وبهذا، تمت ترجمة الغايات إلى أهداف فيزيائية، وفهم الأحداث باعتبارها نقطة الوصول التي تتجه إليها كل حركاتنا الفيزيائية عن طريق الإسقاط الاستعاري لبنية المسار (a metaphorical projection of path structure)، حيث نستطيع أن نفهم المقاصد المجردة عن طريق المسار الفيزيائي.

د- استعارة الأحوال أماكن

يرى جونسون أن النمط الأول من الاستعارة المتعلق باستعارة الغايات أهداف فيزيائية، مؤسسة على بنية المسار وعلى استعارة الأحوال أماكن (states are locations)، التي ترتبط بالترسيمة الآتية:

- الحالة الأولى تمثل مكان الانطلاق.
 - الهدف يمثل الحالة النهائية، وهو مكان الوصول.
 - الشعور على طول المسار يمثل الأعمال الوسيطة.
- وعلى أساس هذه الترسيم، تبنى العديد من التعبيرات اللسانية المسارية، وذلك نحو:

(٢٨) - مازال أمامه تاريخ طويل ليغير شخصيته.

(٢٩) - هو في طريق نسيان هذا الحب.

(٣٠) - سار في اتجاه تحقيق طموحاته.

ترصد لنا هذه التعبيرات اللغوية في (٢٨) و(٢٩) و(٣٠) حالات متعلقة بغايات مجردة، نفهمها عن طريق الإسقاط التصوري الاستعاري لبنية المسار. وبذلك نستطيع أن نفهم الغايات والمقاصد المجردة عن طريق المسار الفيزيائي. حيث نجد هناك تماثل بين ميدان المقاصد المجردة والميدان الفيزيائي. ففي حالة المقاصد، هناك حالة أولى غير مرضي عنها واضحة على مستوى التراكيب، كما في الجمل (٢٨) و(٢٩) و(٣٠)، ثم تتالى الأحداث حتى نصل إلى حالة نهائية مرضي عنها، نجدها حاضرة على مستوى التصورات التي نحملها عن الأشياء في العالم الخارجي، وكذا الأمر في بنية المسار في تمثيلاتها الفيزيائية الأولية^(٨).

هكذا تأسس اختبار مارك جونسون على صنفين من الاستعارات التي يبنى عليها المسار، حيث تعمل هاتين الاستعارتين على بناء المسار الاستعاري وتمثله وفق العناصر الداخلية المؤسسة لهاتين الاستعارتين.

٢, ١. ٢ الأسس الفيزيائية والثقافية للاستعارة الفضائية

توجد مرتكزات الاستعارة الفضائية في تجربتنا الفيزيائية والثقافية. ورغم أن التقابلات الثنائية بين فوق وتحت، أو بين داخل وخارج... إلخ، لها طبيعة فيزيائية، فإن الاستعارات الاتجاهية التي تنبني عليها قد تختلف من ثقافة إلى أخرى^(٩). ففي بعض الثقافات، مثلاً، يوجد المستقبل أماماً، في حين أنه في ثقافات أخرى يوجد خلفنا؛ أي أن النسق الثقافي حاضر بقوة في الاستعارات الاتجاهية. وبهذا، فإن الاستعارات الفضائية المتعلقة بالمسارات، نجدها متجذرة في تجربتنا الثقافية والفيزيائية، وليست من محض الصدفة.

ويبدو أن انسجام النسق الشامل هو الأصل، على الأقل جزئياً، في اختيارات الاستعارات. وهكذا تبدو السعادة مرتبطة فيزيائياً بابتسامة عريضة وبشعور عارم بالحرارة. وهذه الوضعية قد تشكل، مبدئياً، أساس الاستعارتين الآتيتين:

(٣١) - إنه في ضيق.

(٣٢) - يبدو الرجل منبسطة.

ففي (٣١) تمثل الاستعارة في وصف الحال غير المريح وغير السعيد التي يمكن أن يكون عليه شخص ما، عكس البنية (٣٢) التي نجد أن الاستعارة تقدم مظهراً مختلفاً عما يظهر في قولنا «إنني في القمة اليوم».

تقدم التجربة الثقافية والفيزيائية العديد من الأسس الممكنة للاستعارات الفضائية، ولهذا السبب يمكن أن يختلف اختيارها وأهميتها نسبياً من ثقافة إلى أخرى. ومن الصعب التفريق، داخل استعارة معينة، بين الأساس الفيزيائي والأساس الثقافي، إذ أن انتقاء أساس فيزيائي ما من بين أسس فيزيائية أخرى مرتبط بالانسجام الثقافي^(١٠).

والواقع أن الاستعارات الفضائية (الاتجاهية) عبارة عن حقيقة مثبتة في نسقنا التصوري، تجعلنا ندرك العالم من حولنا ونمارس فيه تجاربنا بشكل استعاري. وبحكم تصورات ثقافية ذات طبيعة استعارية، مثل استعارة السلطة نفوذاً، نجعل الناس في مقام مستفل ونجعل أنفسنا في مقام عال. فنحن نمارس حياتنا بواسطة استعارات، وما يجعلنا لا ننتبه إليها هي الطريقة التي تعلمنا بها إدراك العالم الذي نعيش فيه.

وتعد الإسقاطات الجسدية بصفة خاصة شواهد واضحة لطريقة أجسادنا في اقتسام البنية التصورية^(١١).

ونتيجة لذلك، فإن بنية تصوراتنا الفضائية تنبثق من تجربتنا الفضائية المستمرة، أي من خلال تفاعلنا مع المحيط الفيزيائي. وبهذا، لا نفهم التصور فوق عن طريق العلو المجرد فحسب، بل كذلك باعتباره منبثقاً من مجموع الوظائف الحركية التي تنتج عن وضعنا المنتصب بالنظر إلى حقل الجاذبية الذي نعيش فيه. ولهذا، فقولنا «السعادة فوق» هو الذي يبرر قولنا «أحس أنني في القمة اليوم»، وهذا المثال هو الذي يضفي على مبدأ الاستعلاء قيمة السعادة والفرح على سبيل التعميم داخل نسق

ثقافي معين لا يتصور فيه أن تكون عبارة من قبيل: «ارتفعت معنوياتي»، «إني حزين»، حيث لكل عبارة لغوية معينة لها نسق ثقافي خاص بها. وتجب الإشارة إلى كون التوجه الفضائي المسؤول عن الفهم الاستعاري ينضبط لقواعد تجريبية وثقافية تمنحه الانسجام والقصديّة، وتتجاوز مجال الاعتباطية.

٢.٢.٢ الأساس التجريبي للاستعارة الفضائية

إن الأساس التجريبي وحده قادر على جعل الاستعارة الفضائية أداة للفهم. إن الدور الذي يقوم به الأساس التجريبي هام في فهم اشتغال الاستعارات التي ليست متسقة في ما بينها لكونها تنبني على نماذج من التجارب المختلفة. وهذا الأمر جعل الاستعارة الفضائية تنبني على أساس أو بعد تجريبي جشطالتي^(١٢) يؤمن بقدرة الفرد على التفاعل جسدياً وبيئياً وثقافياً مع محيطه في تشييد المعرفة وإنشاء اللغة. وهو ما أدى إلى اعتبار الاستعارة جزءاً من البنية التصورية للإنسان، ومسلكا جوهريا في فهم الواقع وتمثله وفق نماذج وأطر وإسقاطات.

ولهذا، فأساس الاستعارة ليس اللغة، وإنما الكيفية التي نتصور بها مجالا ذهنيا معيناً بواسطة مجال ذهني آخر، وذلك قصد فهم الأشياء المجردة والأقل انبناء من خلال أشياء ومجالات ملموسة وأكثر بنية. وهذا المرتكز التجريبي للاستعارة الفضائية هو الذي يمنحها اتساقها وطابعها النسقي.

والحقيقة أنه لا يمكن فهم أية استعارة أو التمثيل لها بصورة كافية في استقلال عن أساسها التجريبي. فمثلاً، يختلف نموذج الأساس التجريبي للاستعارة المتضمنة للمسار إلى الأعلى عن نموذج الاستعارة المتضمنة للمسار إلى فوق. ورغم أن تصور العلو هو نفسه في جميع هذه الاستعارات، فإن التجارب التي تنبني عليها هذه الاستعارات جد مختلفة. ولا يرجع ذلك إلى وجود مفاهيم مختلفة للعلو، ولكن لأن البعد العمودي مسجل في تجربتنا بطرق مختلفة^(١٣)، هذا الأمر، يتيح بذلك استعارات فضائية مختلفة.

٣. الخصائص النموذجية للمسار الاستعاري

يسعى لايكوف وجونسن إلى جعل المعرفة أداة لفهم أعمق للوقائع والوعي بها، والانتباه إلى ما يختفي وراءها، ولذلك يمكن اعتبار جهود الباحثين مجهود توعية القصد منه بناء وعي جديد والانتصار لمعان مختلفة. وذلك بتحليل اللغة والفكر، وخلق فكر جديد، لهذا دحض الباحثان التصور الذي يختزل ذهن الإنسان وجسده عن باقي عناصر العالم الخارجي.

ويرى مارك جونسن Mark Johnson (١٩٨٧) أن طبيعة المسارات التي نمارسها في تجربتنا؛ أي في حياتنا اليومية، منها ما هو واقعي نمارسه يومياً مثل الانتقال الاعتيادي في التجربة الاجتماعية للإنسان، وذلك نحو:

(٣٣) - من المنزل إلى السوق.

(٣٤) - من المدرسة إلى المنزل.

فهذان المساران في (٣٣) و(٣٤)، يمثلان مسارات واقعية نمارسها بشكل يومي في حياتنا العادية. وهناك مسارات تمثل فقط مشروع مسار (projected path)، أو هي مسارات فقط في حيز الخيال، وذلك مثل:

(٣٥) - من الأرض إلى النجم الأقرب خارج نظامنا الشمسي.

ولكن كل هذه البنيات المسارية ذات الطبيعة الاستعارية تشترك في بنية داخلية موحدة، هي العنصر الجامع بين مختلف المسارات، ففي كل أنواع المسارات الاستعارية سواء الواقعية أو الخيالية لها دائماً الأجزاء المشكلة للبنية الجشطولية الكلية نفسها:

- المصدر أو نقطة الانطلاق: فكل مسار استعاري له مصدر انطلاق حركة المسار سواء ظهرت هذه النقطة على مستوى التركيب أو لم تظهر. لأن تحقيق هذه النقطة تكون على المستوى التصوري حاضراً إن لم تحقق على مستوى التركيب أو البناء اللغوي للعبارة المسارية.

- الهدف أو نقطة نهاية: فكل المسارات الاستعارية لها أهداف معينة، سواء أهداف محدودة أو لا محدودة.

- الأماكن المتتالية الرابطة بين المصدر والهدف^(٤)، يتضمن المسار الاستعاري مجموعة من النقط الرابطة بين المصدر والهدف، فالذات تعمل على قطع جميع النقط الموجودة على طول المسار.

وهذه البنية الجشطلتية الكلية للمسار الاستعاري، تسمى بخطاطة: مصدر - مسار - هدف، حيث تبنى هذه الخطاطة على منطق فضائي، كما يوضح مارك جونسن على الشكل الآتي^(١٥):



ونتيجة لهذه الأجزاء والعلاقات التي تربط هذه الأجزاء بعضها إلى بعض، فإن بنية المسار تتميز بالخصائص النموذجية الآتية:

• إن نقطتي البداية والنهاية لأي مسار ترتبطان بجملة من الأماكن المتتالية، فإننا إذا انطلقنا من النقطة أ متحركين على مدى طول المسار إلى النقطة ب، فإنه يجب على الذات أن تمر بكل النقط الواصلة بين النقطتين.

• يجب أن يكون لأي مسار اتجاه، وإن كانت بعض المسارات ليس لها في حد ذاتها اتجاه، فالمسار يربط النقطة أ بالنقطة ب، وليس ضرورياً أن يكون الاتجاه في مسار واحد. ولكن بني البشر له هدف في قطعه للمسارات، لذلك يميل إلى تحديد الاتجاه، فالإنسان يتحرك عادة على مدى المسار من النقطة أ باتجاه النقطة ب.

• يجب أن يكون للمسارات أبعاد زمنية ترسمها، فإذا انطلقنا من النقطة المصدر أ في الزمن ١ ز، وأتحرك إلى النقطة الهدف ب في الزمن ٢ ز.

ويتضح إذاً، أن الزمن هو الذي يخط ترسيمة المسار. فإذا كانت النقطة «ب» بعيدة عن النقطة «أ»، وأنا قد وصلت إلى النقطة «ب» بالحركة عبر المسار، فإني سأصل إلى هذه النقطة في زمن متأخر عن الزمن الذي انطلقت منه من النقطة «أ» في اتجاه النقطة «ب».

تشكل هذه الخصائص النموذجية للمسار الاستعاري إحدى العناصر المهمة، التي نجدها حاضرة في تصوراتنا وأفكارنا، بل تعد بمثابة أنساق منسجمة نبني بواسطتها تصورنا عن تجربتنا المسارية سواء العادية أو الاستعارية التي نمارسها بشكل يومي في حياتنا^(١٦).

وتعمل هذه البنية الداخلية المحددة لبنية المسارات ذات الطبيعة الاستعارية،

على بنية عدد كبير من الترسيات الاستعارية من المجالات الفضائية المحسوسة إلى تلك الأكثر تجريدًا^(١٧). وبذلك يلعب المسار الاستعاري دوراً هاماً في بنية حياتنا الفيزيائية وتنظيم أفكارنا ومفاهيمنا والكثير من نشاطاتنا. وتجب الإشارة إلى كون مارك جونسون وجورج لايكوف عملاً على إضفاء البعد المعرفي على الجانب الدلالي، مما جعل من الاستعارة وسيلة معرفية فاعليتها شأن فاعلية التجارب الإنسانية الأخرى، لهذا، فهي تتيح لنا محاولة مقارنة كيفية حصول المعاني، ومحفزاتها، طريقة اشتغالها، وذلك انطلاقاً من خصوصية الإدراك البشري وعوامل التجربة التي تفعل فيه.

٤. عمليات بناء المسار الاستعاري

يتم بناء المسار الاستعاري عن طريق مجموعة من الإواليات الأساسية، مثل، عملية فهم ميدان تصوري عن طريق ميدان تصوري آخر، من خلال عملية الإسقاط، لكون ذهن الإنسان يتضمن مجموعة من الخرائط المعرفية، كما أن للمسار قوة وحدوداً معينة، هذا الأمر سنبينه في هذه المرحلة من خلال مجموعة من العناوين الفرعية.

٤.١ عملية الإسقاط

إن المسار الاستعاري عند اللسانيين المعرفيين هو عملية فهم ميدان تصوري ما (conceptual domain)، عن طريق ميدان تصوري آخر، حيث يمكن إنجازها كالآتي: الميدان التصوري (أ) هو الميدان التصوري (ب)، وذلك مثل: فهم السفر عن طريق المسار، حيث يسمى الميدان الأول ميداناً هدياً (target domain) والميدان الثاني ميداناً مصدرياً (source domain).

إن المسار الاستعاري يهدف إلى تحقيق الفهم، فهم (أ) عن طريق (ب)، أو فهم الميدان الهدف عن طريق الميدان المصدر. فإذا نظرنا مثلاً في استعارة السفر/ مساراً، فإننا نتعامل مع السفر باعتباره مساراً، له إمكانية ومحطات وبداية ونهاية، بمعنى أننا نستعمل ترسيمة الميدان المصدر وهو السفر لفهم الميدان الهدف وهو المسار، فتجربة السفر تبدأ في نقطة معينة وتسير في مسار معين وتنتهي إلى نهاية، وذلك نحو:

(٣٦) - سافرنا نحو المجهول.

والأمر نفسه، ينطبق على استعارة حب/ رحلة، فإننا نتعامل مع الحب باعتباره مساراً، له طريق وأمكنة وبداية ونهاية، بمعنى نستعمل ترسيمة الميدان المصدر وهو الرحلة لفهم الميدان الهدف، وهو الحب. فتجربة الحب تبدأ وتسير في مسار، وتعرض لصعوبات وتصل إلى المبتغى وتنتهي إلى نهاية. كما يوضح المثال الآتي:

(٣٧) - وصلت علاقتنا إلى المبتغى.

إذ يبنى التصور هنا من خلال مسار استعاري (metaphorical path) مشترك يسمح لهما بالتقدم إلى الأمام وكأن العاشقين في رحلة. والواقع أن الخرائط المعرفية (cognitive mapping)، والتي تسمح بها الاستعارة الفضائية من خلال نسخ عناصر من مجال المصدر إلى مجال الهدف، تعد إوالية أساسية في عملية بناء المسار الاستعاري.

وقد اعتمد مفهوم الخرائط المعرفية^(١٨) هنا لتوضيح عملية فهم ميدان تصوري عن طريق ميدان تصوري آخر، لكون المعرفة الفضائية ذات الطبيعة الاستعارية نجدها حاضرة وكامنة في الذهن/ الدماغ الإنساني. كما ارتكز «لايكوف» و«مارك جونسن» (١٩٨٠) في كتابهما الرائد «الاستعارات التي نحيا بها» على استراتيجية لتسمية حالات النسخ هاته، واستعمال الكثير من الأنساق الاستعارية الدالة على المصدر والهدف عن طريق الإسقاط (projection).

وبهذا، فالمسار الاستعاري عبارة عن حالة تصوير إدراكي للأشياء الموجودة في العالم الخارجي، حيث يتم تمثيلها عن طريق مفهوم الإسقاط. وفي هذا الإطار، لابد من رصد مجموعة من البنيات المسارية الناتجة عن الإسقاط والتي لها أبعاد استعارية، ومن بين هذه التعابير اللغوية، نجد ما يلي:

(٣٨) - وصلت علاقتنا إلى المبتغى.

(٣٩) - وصلنا إلى مفترق الطرق.

(٤٠) - نسير نحو المجهول.

فكل هذه البنيات اللغوية في (٣٨) و(٣٩) و(٤٠) تتضمن مسارا استعاريا، حيث تم نقل المسار العادي من استعماله اللغوي الدال، إلى المسار الاستعاري عن طريق مفهوم الإسقاط التصوري للأشياء، من خلال التفاعل الإيجابي مع التجربة، لكون الذهن البشري يشتغل وفق هذا البناء التصوري المحكم.

والواقع أننا نكون أمام مسار استعاري في البنيتين (٣٨) و(٣٩)، عكس المسار الاستعاري في البنية اللغوية (٤٠)، ومحدودية المسار الاستعاري في تلك البنيات اللغوية، تعود بالأساس إلى الحرف المساري «إلى» «into» في (٣٨) و(٣٩)، واللامحدودية المسار الاستعاري في (٤٠)، تعود بالأساس إلى الحرف «نحو» «toward» في البنية (٤١).

ويعد التصور الاستعاري للمسار تصورا أوليا لكونه مشتق من التجربة - قبل التصويرية لدى الإنسان، أي من خلال تجربة العالم التي تبني مباشرة بواسطة الجسد البشري^(١٩).

وتجب الإشارة إلى كون التصورات ليست تجريدات فارغة، وإنما تستمد مادتها، إلى حد كبير، من تجاربنا الحسية - الإدراكية التي تكونها أولا قبل أن تكون غيرها.

ولقد استدل جونسن Johnson (١٩٨٧)^(٢٠) على أن هذا النمط من التصورات المتجسدة يمكنه أن يتوسع بكيفية نسقية لإنتاج تصورات أكثر تجريدا، ومجالات تصويرية مبنية. وتسمى عملية التوسع هذه إسقاطا تصوريا (conceptual projection). ويعتبر أن التصور الاستعاري للمسار يمثل صورة من صور الإسقاط التصوري.

٢.٤ التجهيز التصوري

يعمل المسار الاستعاري على تجاوز المعنى اللغوي الذي تحمله اللغة، لكون التجهيز التصوري^(٢١) الذي تملكه، يجعلنا نتجاوز القائمة اللغوية، وندخل في إطار التجارب التصورية فوق - اللغوية (meta-linguistic)، لندرك مداركنا مجهزة لكي نتحدث عن المسار الاستعاري الذي تؤكد المعطيات اللغوية الآتية:

(٤١) - سافرت نحو الماضي.

(٤٢) - سافرنا عبر الزمن.

فالمسار الاستعاري هنا، يراعي خصوصية المصدر والهدف، ويتجاوز المجال اللغوي المعبر عنه في إطاره العادي بعيدا عن المجال الاستعاري، إلى استعمالات مسارية استعارية لها معان مختلفة.

٤.٣ القوة الاستعارية للمسار

تمنح قوة استعارية كبيرة إلى عنصر الحركة (motion)، باعتبارها مؤشراً قوياً على اللانهاية وعدم محدودية المسار، وهو الأمر الذي تبينه السياقات الآتية:
(٤٣) - يزحف المستقبل نحو المجهول.
(٤٤) - يتجه المستقيم إلى ما لا نهاية.

إن القوة الاستعارية التي تمارس على البنيات اللغوية، ذات الطبيعة المسارية، من خلال توظيف أفعال من قبيل: يزحف، يتجه... إلخ. تجعلنا ندرك أن النسق الداخلي لهذه الأفعال يبني على الامتداد، الشيء الذي يجعلنا أمام مسارات استعارية ممتدة.

وهذا الامتداد لا يمكن أن يأتينا من التركيب ولا من الصرف، بل إن العنصر القوي في بناء هذا الأمر يأتي من التصورات، فاللغة في هذا الإطار تكون عنصراً مساعداً ووسيلة للفكر من أجل فهم المعنى الاستعاري للمسار. وفي هذا الصدد، نفترض تبعا ل-: جاكندوف Jackendoff (٢٠٠٢) أن الصورة اللغوية تقدم وسيلة للفكر ليكون في متناول الوعي. فإذا لم تكن مستعداً للتعامل مع اللغة والذكاء والوعي والتفاعل الاجتماعي والثقافي، فإنك لن تفهم المعنى^(٢٢).

وينحو جاكندوف دائماً إلى محاولة تفسير سيرورات الإدراك البشري وعلاقته بالسلوك اللغوي اعتماداً على نظريات علم النفس المعرفي^(٢٣)، حيث يعتمد على القيد المعرفي الذي يتلخص في وجوب افتراض مستويات للتمثيل الذهني، تتصافر فيها المعلومات القادمة من أجهزة بشرية أخرى مثل جهاز البصر، والجهاز الحركي، والأداء غير اللغوي، وجهاز الشم.. إلخ. وبدون افتراض هذه المستويات التمثيلية، يستحيل أن نقول إننا نستعمل اللغة في وصف إحساساتنا، وإدراكاتنا، وتجاربنا المختلفة بوجه عام.

وتؤكد هذه المقاربة على أن كل معاني الألفاظ في اللغة لها دلالة معجمية، وهي دلالة نابعة من المستوى التصوري الذي يعمل على التقاط التجربة، ونعبر عنها باللغة، وهو مستوى تصوري متسق ومترد مثله مثل القواعد النحوية، بل إن هذا المستوى التصوري يدخل في إطار المعرفة النحوية العامة المتوافرة عند الإنسان.

٥. حدود المسار الاستعاري

إننا ندرك المسار الاستعاري من خلال عناصر تتحرك في الفضاء، انطلاقاً من أبنية تصويرية للأشياء. وهذا البناء التصوري يتم تدعيمه في بعض الأحيان بواسطة نسقنا الكتابي (writing). وهذا الأمر، يدل دلالة واضحة على قدرة المسار الاستعاري على تجاوز حدود المستوى التصوري، باعتباره معرفة ذات أبعاد متعددة يمكن أن نلخصها في ثلاثة عناصر، وهي أن المعرفة الفضائية لبنية المسار الاستعاري هي في الوقت نفسه معرفة فيزيائية، ومعرفة تصويرية، ثم أخيراً معرفة داخلية فردية.

والواقع أن المسار الاستعاري باعتباره ناتجاً عن إسقاطات العالم الخارجي الذي يتفاعل معه باستمرار، وتصور به سمات حياتنا الخاصة، لكون الاستعارات والكنيات أيضاً ليست عشوائية، بل تشكل أنسقة منسجمة بنبي بواسطة تصورنا عن تجربتنا^(٢٤)، حيث إن هناك جزءاً هاماً من تجاربنا وسلوكياتنا وانفعالاتنا استعاري من حيث طبيعته. وإذا كان الأمر كذلك، فإن نسقنا التصوري يكون مبنياً جزئياً بواسطة الاستعارة.

وبهذا، لن تكون الاستعارات تعابير مشتقة من حقائق أصلية، بل تكون هي نفسها عبارة عن حقائق بصدد الفكر البشري، والنسق التصوري البشري^(٢٥)، عكس النظرة الكلاسيكية التي كانت تنظر إلى الاستعارة باعتبارها مسألة خاصة باللغة، وليس باعتبارها - أساساً - وسائل تبين نسقنا التصوري وأنواع الأنشطة التي ننجزها، وتؤثر في كيفية إدراكنا للعالم، فتفعل في هذه الإدراكات.

٦. الإسقاط الاستعاري للمسار في بعض المجالات التصويرية

من الضروري الإشارة إلى كون التعابير المسارية المعبر عنها بالمركبات الحرفية، تتجاوز الإسقاط الاستعاري للمسار الفضائي إلى الإسقاط على المجالين الاجتماعي والعاطفي، وهذا التجلي لهذا الإسقاط، يعتبر أن أساس القدرة على بناء التصورات يتمثل في الخطأة الصورية^(٢٦)، حيث يتم إسقاط بنية فضائية في بنية تصويرية^(٢٧). وعادة نتصور ما ليس فيزيائياً من خلال ما هو فيزيائي.

وبعبارة أخرى، فنحن بنو البشر نتصور ما هو محدود بوضوح أقل عن طريق ما هو محدود بوضوح أكثر.

ولننظر في الأمثلة الآتية:

(٤٥) - دخل زيد إلى المطبخ.

(٤٦) - دخل زيد إلى الطيران.

(٤٧) - دخل زيد إلى غمار العشق.

تدل هذه الأمثلة الواردة في (٤٥) و(٤٦) و(٤٧) على ثلاثة مجالات للتجربة مختلفة، حيث نجد في (٤٥) المجال الفضائي، وفي (٤٦) المجال الاجتماعي، وأخيراً نجد في (٤٧) المجال العاطفي. وليس لمجال من هذه المجالات أسبقية عن المجالين الآخرين، إلا أنه، من وجهة نظر البنية التصورية، هناك اختلاف. فالتصور «إلى» ينبثق في الجملة (٤٥)، مباشرة من التجربة الفضائية بشكل واضح المعالم والحدود، وهو هنا ليس تصوراً استعارياً. أما الجملة (٤٦) فهي مثال الاستعارة المجموعات الاجتماعية أوعية، التي تعمل على تبين تصور المجموعة الاجتماعية. وتسمح لنا هذه الاستعارة بالقبض على تصور المجموعة الاجتماعية عن طريق جعله فضاء، أما الجملة (٤٧) فهي مثال الاستعارة الحالات العاطفية.

وتجدر الإشارة إلى كون الحرف «إلى» والتصور «إلى» يعتبران شيئاً واحداً في الجمل الثلاث، إذ ليس لدينا ثلاثة تصورات مختلفة للتصور «إلى»، أو ثلاثة مشتركات لفظية للفظ «إلى». لدينا تصور واحد ينبثق من التجربة الفضائية^(٢٨) هو «إلى» ولدينا لفظ واحد لتمثيل هذا التصور.

وتبعاً لهذا، فإن السبب الذي يجعلنا نتحدث عن الكينونة في حالات معينة، مثل: الحب أو الهم، هو أننا نبني تصورات مجردة، مثل: الحب، ونفهمها بفضل تصور أساس هو تصور الوعاء، كما توضح ذلك الجمل الآتية:

(٤٨) - سقط زيد في حب هند.

(٤٩) - غرق عمرو في همومه.

(٥٠) - البلد في أزمة شديدة.

ويعتمد اللسانيون المعرفيون بهذا الخصوص على عدد من النتائج المتوصل إليها في مجالات علمية، منها علم النفس التطوري. ومن ذلك أعمال عالمة النفس ماندلر Mandler (٢٠٠٤) حول الكيفية التي تنتج بها التجربة المتجسدة الخطاطات الصورية. فقد استدلت على أن الأطفال يتبهبون في سن مبكرة لا تتجاوز الشهرين،

إلى الأشياء والعلاقات الفضائية في محيطهم، ويستطيعون بفضل هذه الصلة الوثيقة بالتجارب الفضائية، القيام بتجريدات عبر تجارب مماثلة، وإيجاد بنيات دالة من خلال هذا النوع من العمليات. ومثال ذلك، أن الخطاطة الصورية المتعلقة بالوعاء لديهم أكثر من مجرد تمثيل فضائي - هندسي^(٢٩). إنها نظرية حول نمط معين من التنظيم يحتوي فيه كيان معين كيانا آخر^(٣٠).

وبعبارة أخرى، فعبارة الوعاء تكون دالة، لأن الأوعية دالة في التجربة اليومية. ففي وضع كالذي تصفه الجملة الآتية^(٣١): الشاي في الفنجان، يستلزم الوضع الفضائي المتعلق بالحرف «في» دالة احتواء تشمل عددا من النتائج، مثل: تخصيص محل الكيان الذي يحتويه الوعاء وتحديد حركته الممكنة. فكون الشاي محتوي في الفنجان يقيه من التدفق، وإذا تحرك الفنجان تحرك معه الشاي^(٣٢).

ولهذا السبب، يمكن أن يستعمل الحرف «في» في أوضاع غير فضائية، كالأمثلة السابقة عن الكينونة في الحب أو الهم. فلأن الأوعية تقيد النشاط، ليصبح تصور القوة وحالات كالحب أو الأزمة من خلال حقل الاحتواء أمرا ذا دلالة^(٣٣). وتسمى ماندر هذه العملية القائمة على تكوين خطاطات صورية من خلال إعادة وصف التجربة الفضائية، تحليلا للمعنى الإدراكي^(٣٤).

وكل هذا يعني بعبارة أخرى، أن التجربة التي تكون ذات دلالة لدينا، بفضل بنية أجسادنا هي التي تشكل قاعدة عدد كبير من تصوراتنا الأساسية. لكون تصوراتنا منبئية على أساس بنية أجسادنا ذات الطبيعة الفضائية من محور فضائي ذي أبعاد ثلاثية، وعن طريقها يتم استنباط تصوراتنا العامة، التي بواسطتها نفكر، ونعيش، ونحيا، ونعمل،... إلخ.

خاتمة

نخلص في هذا الإطار المتعلق بالتصور الاستعاري للمسار في اللغة العربية، إلى كون الاستعارة في جوهرها، جزء من البنية التصورية للإنسان، وليست ظاهرة لغوية بالأساس. ويتم رصد انطلاقا من مجموعة من العناصر الأحيائية كالتجهيز التصوري والتصورات العامة أو الأساس التي نجدتها كامنة في ذهن/ دماغ الإنسان، لكونه مرتبط بتجربتنا الفيزيائية والجسدية والثقافية، إضافة إلى كونه مؤطر بنظرية

الاستعارة التصويرية المقدمة من خلال عمل لايكوف (١٩٩٣)، التي تشكل مقارنة لتنظيم التصورات المسارية ذات الطبيعة الاستعارية وبنائها. وتجب الإشارة إلى أن المسار الاستعاري مؤسس على مجموعة من الاستعارات المسارية، والتي يتم التوصل إليها من خلال مجموعة من الإجراءات، مثل مفهوم الإسقاط التصوري. والواقع أن الخاصية الأساسية التي تميز المسار الاستعاري، تتجلى بالأساس في ارتكازه على فهم مجال ما من خلال مجال آخر اعتماداً على توافقات أنطولوجية. كما أن المسار الاستعاري يتسم بخاصية الإنتاجية (انظر بهذا الصدد أحمد بريسول (٢٠١٠)، ص. ٣٤، و (٢٠١٣)، ص. ١٨٦، وكذلك محمد غاليم (١٩٨٧) الذي أكد في أكثر من مرة على أن المجاز والاستعارة لهما خاصية الإنتاجية). وبالتالي، فالاستعارة تمنح المسار قوة تعبيرية، الشيء الذي يجعل من المسار يتجاوز حدوده إلى مجالات تصويرية أخرى، ويعاملها معاملة الفضاء جزئياً، لكون المعرفة أو التجربة أو التجارب الفضائية تؤطر لنا تجارب إنسانية أخرى، لكونها تمثل الأساس والجوهر العام لمعظم التجارب الإنسانية المعاشة. وهذا الأمر، يدعونا إلى القول بمركزية التجارب الفضائية مقارنة بالتجارب الإنسانية الأخرى التي تبنى انطلاقاً من الأساس أو الجوهر الفضائي.

الهوامش:

- ١ . أستاذ مبرز و باحث في اللسانيات بمختبر إعداد اللغة العربية بجامعة ابن طفيل بالقنيطرة - المملكة المغربية.
- ٢ . انظر لايكوف (١٩٩٣).
- ٣ . تعد عملية الإسقاط التصوري من بين النظريات الأكثر حضوراً في مجال اللسانيات المعرفية (linguistique cognitive)، إذ تعمل على البحث في الطرق التي يتمثل بها الإنسان العالم، ثم الإمكانات المتاحة أمامه من أجل إسقاطها في شكل صور معرفية أو معجمية. وذلك مثل: تصور المسار سفراً أو رحلة.
- ٤ . انظر مارك جونسون وجورج لايكوف (١٩٨٠).
- ٥ . أشار «وليام ناجي» (١٩٧٤) «William Nagy» إلى بعض هذه الأمثلة في دراسته العلمية المفصلة، التي كانت عبارة عن أطروحة قدمها في جامعة سان دييغو بكاليفورنيا سنة ١٩٧٤، لنيل درجة الدكتوراه، التي كان عنوانها: «النماذج المجازية والحشو في المعجم».
- ٦ . انظر جورج لايكوف ومارك جونسون (١٩٨٠).
- ٧ . لا تقتصر الاستعارة على اللغة، بل نجدتها في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضاً. إن النسق التصوري العادي الذي يسير تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس.
- ٨ . مارك جونسون (١٩٨٧)، ص. ١١٥.
- ٩ . نأخذ في هذا الصدد المثال الكلاسيكي المعروف بالمقارنة بين لغة الهوسا واللغة العربية فيما يتعلق بالأبعاد الفضائية (كما ورد في جحفة (٢٠٠٠)، ص. ٩٥-٩٦). لتتصور أن هناك حجراً في مجال رؤيتنا، وهناك كرة بيننا وبين الحجر. إننا نقول في وصف هذا الوضع إن الكرة توجد أمام الحجر. إلا أن لغة الهوسا (Hausa)، وهي إحدى اللغات الإفريقية، تقول في وصف الوضع نفسه: إن الكرة تقع خلف الحجر.
- ما يمكن أن نستخلصه من هذا الاختلاف في الوصف أن البعد «أمام/ خلف» ليس خاصية لاصقة بالحجر أو الكرة، وإنما هو بعد يسقطه المتكلم عليها. وكيفية إسقاط هذا البعد تختلف من هذه الثقافة إلى تلك.
- وعلى الرغم من كون هذا الاختلاف بين اللغة العربية ولغة الهوسا من خلال البنيتين الآتيتين:
- توجد الكرة أمام الحجر. (اللغة العربية).
- توجد الكرة خلف الحجر. (لغة الهوسا).

فإنها تختلفان معنى وتصورا، وإن كانتا تصفان الوضع الخارجي نفسه، إذ كل جملة تعكس التقطيع الجزئي الذي يملكه متكلم العربية ومتكلم الهوسا للفضاء باعتباره جزءاً من العالم الذي نعيش فيه.

١٠. تنسجم القيم الأكثر جوهرية في ثقافة ما مع البنية الاستعارية لتصوراتها الأكثر أساسية، فلا تعطي كل الثقافات الأسبقية للاتجاه الفضائي فوق - تحت، كما نفعل نحن في ثقافتنا العربية. وهناك ثقافات يلعب فيها التوازن أو التمرکز دوراً أهم مما يلعبه في ثقافتنا، كما في قولنا: «خير الأمور الوسط»، لكن الاختلاف في الثقافات كامن في التصورات التي يتم توجيهها، وفي الكيفية التي يتم بها ذلك، وفي أهمية اتجاه على آخر.

١١. فأمثلة تعبيرية من قبيل: أمام... إلى الخلف... إلخ، تحصل معناها المركزي مع الجسد، على اعتبار أننا نملك الاتجاه أمام وخلف الملازمين لنا. فنحن ننظر إلى جهة الأمام، ونتحرك عادة إلى الأمام، ونعامل الأشياء والناس والآخرين من خلال الأمام. وخلفنا هو المقابل لأمامنا، الذي لا نتصوره بصفة مباشرة، فنحن لا نتحرك إلى الخلف عادة، ولا نتعامل نمطياً مع الأشياء والناس من خلاله. ويتأسس التصوران «أمام» و«خلف» جسدياً، ويكون لهما معنى فقط مع الكائن الذي يملك أماماً وخلفاً.

١٢. إن مصدر مفهوم الجشطلت هو علم النفس الجشطلتي، الذي يقصد به ذلك التيار النفسي الذي يهتم بدراسة الإدراك والسلوك انطلاقاً من استجابة البشر لوحداث أو صور متكاملة. والجشطلت شكل أو صورة من الظواهر الطبيعية، بحيث يكون الشيء المدرك له خصائص لا يمكن استمدادها من أجزائها بمجرد ضم بعضها إلى بعض.

١٣. فالاستعارات الفضائية التصورية تؤسسها أو تحفزها التجربة البشرية. ويتضمن الأساس التجريبي للاستعارة هذه الارتكازية على التجربة (groundedness-in-experience) فقط. والتجارب التي تتأسس عليها الاستعارات التصورية يمكن أن تكون جسدية، ولكن ليس هذا فقط، وإنما قد تكون إدراكية، ومعرفية، وبيولوجية، أو ثقافية أيضاً.

١٤. مارك جونسن (١٩٨٧)، ص. ١١٣.

١٥. تبعاً لمارك جونسن، فإن معارفنا الأساسية حول الحركة تخصصها خطأ - المسار - الهدف، وهذا المنطق متضمن في بنيتها، والكثير من تصورات العلاقات الفضائية التي تحد باستخدام هذه الخطأ، وتعتمد في معناها على منطق الفضائي الملازم لها.

١٦. يبين المسار الاستعاري جزءاً كبيراً من حياتنا المعيشة، ويحكم تجربتنا الفيزيائية، وينظم

نشاطاتنا اليومية، فنحن نرتبط مع هذا العالم الذي تتفاعل معه عبر أنواع متعددة من المسارات.
(انظر مارك جونسن (١٩٨٠)، ص. ١١٥.

١٧. انظر مارك جونسن (١٩٨٧)، ص. ١١٣.

١٨. يعتبر مفهوم الخرائط (mapping) من بين المفاهيم الأكثر تداولاً في إطار المعرفة اللسانية، حيث نجد كذلك مصطلح الخرائط الفضائية... إلخ. ويعد طولمان (١٩٤١) Tolman أول من استعمل مفهوم الخرائط المعرفية ليصف الكيفية التي نفهم من خلالها الظواهر المعقدة، وقد استعمل هذا المفهوم في ميادين معرفية كثيرة، كعلم النفس والتربية وعلم الذكاء الاصطناعي. فيؤشر من خلاله أن السمات التي تكون على مستوى المصدر يتم نسخها على مستوى الهدف، الشيء الذي يجعلنا نتج عبارات استعارية من قبيل: السفر/ مسارا، الحب/ رحلة... إلخ.

١٩. للجسد البشري أهمية كبرى في رصد بعض التمثيلات الفضائية، المسارية منها بالخصوص، لكونه حاضر في تجاربنا اللغوية باستمرار.
٢٠. انظر مارك جونسن (١٩٨٧).

٢١. إن مفهوم التجهيز التصوري، يرتبط بالتصورات الكامنة في الذهن/ الدماغ الإنساني، وبواسطته يتم تمثيل العالم الخارجي والتعبير عنه، انطلاقاً من المعلومات الموجودة في التجهيز الوراثي العام. ويبدو هذا المفهوم موحدًا عند جميع الأنواع، والذي يؤول جزءًا من البيئة بوصفها تجربة لغوية، وهي عملية يقوم بها الإنسان لتحديد السير العام لنمو التصورات. وهو عامل من بين العوامل المسؤولة عن إنتاج التصورات انطلاقاً من الملكة اللغوية لدى الإنسان، لكون طبيعة التكوين الإحيائي لدى الإنسان، تحدد إلى جانب طبيعة المحيط الفيزيائي الذي يتفاعل معه، باقي مظاهر تجربته.

٢٢. جاكندوف (٢٠٠٢)، ص. ١٣.

٢٣. يقصد بالعمل المعرفي أو علم النفس المعرفي العلم الذي يبحث في كيفية امتلاك الذهن للمعرفة، وكيفية تطويرها، ويبحث في علاقة المحيط بالاكْتساب، وفي كيفية احتفاظ الذاكرة بالمعلومة واستعمالها عند الحاجة.

٢٤. انظر لايكوف ومارك جونسن (٠١٩٨)، ص. ٥٩.

٢٥. أبرزت النظريات المعاصرة أن الاستعارات بنيات تصويرية غير مختزلة، تتأسس على الفهم الإنساني للعالم، تحتزن قوة إبداعية خاصة وطاقة تعبيرية (تصورية)، تعكس بعمق التفاعل الثلاثي بين الذات واللغة والعالم، لكونها (الاستعارة) ليست مسألة لغوية فحسب، بل إنها نتاج

فكر وتفاعل عوامل اجتماعية وفيزيائية وثقافية.

٢٦ . يعد مفهوم الخطاطة الصورية من بين المفاهيم الأساسية التي أشار إليها مارك جونسون (١٩٨٧) في كتابه الكلاسيكي «الجسد في الذهن»، الذي بين فيه أن الكيفيات التي تعبر بها التجربة المتجسدة عن نفسها، في المستوى المعرفي، أنها تظهر في شكل بنيات مجردة من الصور أو خطاطات صورية.

٢٧ . يميز جاكندوف بين البنية الفضائية والبنية التصويرية، فيرى أنه إذا كانت البنية التصويرية متكونة من عناصر لغوية ومن وظائف مترابطة سلمياً ومبوبة في شكل أصناف وعناصر تصويرية، فإن البنية الفضائية تهتم بتشفير عناصر العالم الفيزيائي المدركة، وهو تشفير لا يقوم، في رأي جاكندوف، على توزيع لعناصر المرئي كما تدرك لحظة بلحظة، أي وفق التتالي الزمني، بل تقوم على الاندماج بين العناصر المدركة وفق مقاييس هيئة الشيء المرئي وحركته في الفضاء. وزمان تلك الحركة وتصميمها في الفضاء. كما يعتقد جاكندوف أن البنية الفضائية ليست بنية تخيلية بل هي بنية هندسية.

٢٨ . تعد التجربة الفضائية أساس كل التجارب البشرية، لكونها تبين جميع التجارب من خلال إوالياتها وأسسها المتينة.

٢٩ . للمعرفة الفضائية هندسة خاصة بها، توضح فيها المستويات الخاصة بلغة معينة، وتتحكم في هذه الهندسة ضوابط معينة، تجعل كل هندسة فضائية لها قواعد وأسس مختلفة، علماً أن الهندسات الفضائية مختلفة من نمط لغوي إلى آخر.

٣٠ . انظر بهذا الخصوص ماندلر (٢٠٠٤)؛ وإيفانس وكارين (٢٠٠٦)، ص. ٤٦.

٣١ . انظر بهذا الصدد محمد غاليم (٢٠١٥)، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، العدد الثالث، ص. ١٨٥.

٣٢ . انظر تيلر وإيفانس (٢٠٠٣).

٣٣ . انظر بهذا الصدد محمد غاليم (٢٠١٥)، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، العدد الثالث، ص. ١٨٥.

٣٤ . انظر م. ن، ص. ن.

لائحة المراجع

لائحة المراجع العربية

- بريسول، أحمد (٢٠١٠) الاستعمال الاستعاري لأفعال الحركة، نموذج اللغة العربية واللغة الإسبانية، ضمن اللسانيات العربية المقارنة لمختبر إعداد اللغة العربية. بريسول، أحمد (٢٠١٣) دلالة أفعال الحركة في إطار المعجم المولد، ط ١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان.
- جحفة، عبد المجيد (١٩٨٩) دلالة حروف الجر في اللغة العربية، ددع، جامعة محمد الخامس - أكادال الرباط.
- جحفة، عبد المجيد (٢٠٠٠) مدخل إلى الدلالة الحديثة، ط ١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- جحفة، عبد المجيد (٢٠١١) أجسادنا في الفضاء تولد الاستعارات، ضمن الاستعارة والمعرفة، مختبر اللسانيات والتواصل، إعداد خالد برادة، عبد المجيد جحفة، منشورات المختبر، كلية الآداب، بنمسيك - الدار البيضاء.
- جورج لايكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة (١٩٩٦) ط ١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- جاكندوف، راي (٢٠٠٢) الدلالة مشروعاً ذهنياً، ترجمة محمد غاليم ضمن كتاب، دلالة اللغة وتصميمها، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- غاليم، محمد (١٩٨٧) التوليد الدلالي في البلاغة المعجم، ط ١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- غاليم، محمد (١٩٩٩) المعنى والتوافق، مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، ط ١، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط.
- غاليم، محمد (٢٠٠٧) النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، مبادئ وتحليل جديدة، ط ١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- غاليم، محمد (٢٠١٤) السمات والوجهات وهندسة النحو»، ضمن كتاب «اللسانيات وإعادة البناء، وقائع الندوة العلمية الدولية الثالثة للسانيات، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بمنوبة، تونس، أيام ١٠ و ١١ و ١٢ ابريل ٢٠١٤.

غاليم، محمد (٢٠١٥) اللسانيات والآداب، مبحثان معرفيان، ضمن مجلة البلاغة والنقد الأدبي، العدد الثالث (٢٠١٥).

لائحة المراجع الأجنبية

Evans, V. and Green, A (2006): Cognitive Linguistics, an Introduction, Edinburgh University Press.

Jackendoff, R (1972): Semantic Interpretation in Generative Grammar, Cambridge, Ma : MIT Press.

Jackendoff, R (2002) Foundations of Language. Oxford: Oxford University Press.

Jackendoff, R (2007) Language Consciousness, Culture, Essays on Mental Structure Cambridge, Ma: MIT Press.

Jackendoff, R (2011): «What is the Human Languages Faculty ? to appear in Language, Tufts University.

Johnson, M (1987): The Body in The Mind : The Bodily Basis of Meaning, Imagination and Reason, Chicago University Press.

Lakoff, G (2006): Conceptual Metaphor, in Cognitive Linguistics Gruyter Berlin, New York.

Lakoff, G (1993): The Contemporary Theory of Metaphor, in A. Ortony (ed.), Metaphor and Thought, 2nd edition, Cambridge: Cambridge University Press.

Lakoff, G. and Johnson, M (1980): Metaphors We Live By. Chicago : University of Chicago Press.

Mandler, J (2004): The Foundations of Mind: Origins of Conceptual Thought, Oxford University Press.

Tyler, A. and Evans, V (2003): The Semantics of English Prepositions: Spatial Scenes, Embodied Meaning and Cognition, Cambridge University Press.